الأهرام

المصدر : الشرق الاوسط

التاريخ : ٢ ربيع الاول ١٤٠٥ هـ

المسلمون في بلغاريا

عن ـ الشرق الاوسط ـ

إن اضطهاد المسلمين الذين هم من اصل تركي في بلغاريا لمحو الهوية الاسلامية لهذه الاقلية المسلمة التي تزيد عن مليون نسمة قد زاد بشكل واضح خلال الحكم الشيوعي، حتى بلغ درجة لا يمكن السكوت عليها خلال الاشهر القليلة الماضية وقد وافانا بهذا التقرير اخوة مسلمون يعيشون في داخل البلاد: لقد بدات معارك دموية حديثا تساقط فيها المئات من المسلمين من اصل تركي في بلغاريا، اثناء حملة لاجبار هذه الاقلية على محو هويتها الاسلامية بقوة الحديد والنار. وقامت الحكومة البلغارية بهذه العمليات على اساس ان المسلمين الاتراك يجب ان يحملوا اسماء بلغارية، حتى يعكسوا وحدة الامة البلغارية الاسلامية. وفي سبيل تنفيذ هذا الغرض الخبيث قتل ثمانمائة مسلم بواسطة السلطات البلغارية. وتحركت الاتصالات الدبلوماسية بين تركيا وبلغاريا ولكن ذلك لم يسهل ما يعانيه المسلمون هناك. وقد ارسل الرئيس كنعان ايفرين رسالة الى تيودور زيفيكوف يناشده ان يضمن الحرية والحقوق المبدئية للبلغاريين من اصل تركي. كما طالب ايفيرين بان تقوم الحكومة البلغارية بفحص واعادة النظر في تغيير الاسماء، واغلاق المدارس التركية، ومنع استخدام اللغة التركية في الاماكن العامة حيث يعيش الاتراك المسلمون في بلغاريا. فارسل زيكوف رسالة يعد بالتحقيق في ظل روح الجوار بين الدولتين، وفي ٢١ يناير (كانون الثاني) قام ثلاثة من قادة الاحزاب في تركيا وهم بيرتيف بحسكيولو، عن حزب « امنا الارض » الحاكم، وامين عام حزب الشعب المعارض، وامين عام الحزب الديمقراطي الوطني. قام هؤلاء الثلاثة باصدار بيان نشر في مجلة اسطانبول اليومية (تركمان) حذروا فيه بان الامة التركية ساءها جدا ما يحدث للاتراك المسلمين في بلغاريا .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

وقامت السلطات البلغارية في اليوم التالي باذاعة بيان تهاجم فيه الدعايات المناوئة لبلغاريا التي تنشر في تركيا. كما قامت بلغاريا باغلاق حدودها بالنسبة للسواح فقط من الاتراك، لعلمها بانه لو تم اغلاق الحدود بصورة كاملة ستتضرر تجارتها مع الشرق الأوسط. وكانت الحكومة البلغارية تأمل بهذه الطريقة ان تنجح في منع المسلمين البلغاريين من الاتصال بالطريق الوحيد لهم بالعالم الاسلامي عن طريق تركيا، ومنع تسرب المعلومات التي تثير المسلمين خارج بلغاريا. وفي الواقع ان المشكلة لم تبرز الى الضوء إلا بعد اكتشاف أن عدد اللاجئين المهاجرين غير القانونيين من بلغاريا الى تركيا قد تضاعف عدة مرات خلال الأيام الأخيرة، هربا من محاولة تغيير دينهم واسمائهم وهويتهم بالقوة. كما قامت السلطات البلغارية بطرد ثلاثة صحفيين اتراك كانوا يحاولون التحقيق في هذه الحوادث. وفي نهاية العام الماضي - كجزء من خطة خمسية لاجبار جميع المسلمين لتغيير اسمائهم في الجوازات والهويات الشخصية - اعلنت الحكومة بانها قد انتهت بنجاح من هذه العملية في جميع المدن وعندئذ اتجهت الحكومة الى تنفيذ برنامجها في المناطق الريفية وبالذات في منطقة خاز قوزو وموموجلفراد في جنوب دبروجا. ولكن المواطنين المسلمين رفضوا وقاوموا « البلغرة » بالاجبار، حيث رفضوا ان يوقعوا على الأوراق البلغارية تطوعا ليتم تغيير اسمائهم حالا، كي يصبح من اسمه احمد يدعي بيتور وبذلك تنمحي حضارتهم وثقافتهم.

وقد تم مضايقة الناس باشكال كثيرة، حيث وضع الكثيرون منهم في سجون، عبارة عن مخيمات، عندما رفضوا ان يستجيبوا لهذا الأمر. كما ان السلطات العسكرية قامت باحضار اعداد كبيرة من الجيش والشرطة الى المناطق التي رفضت التوقيع. ويذكر هلال اوجون قولو، احد رؤساء المهاجرين البلغاريين في تركيا، أن ثمانين مسلما في قرية اجريدير، قرب كركالي، قد قتلوا خلال الشهرين الماضيين. ويذكر ان بعض الجرائم الشبيهة بذلك قد جرت في عدد من القرى الاسلامية، ويذكر احد ضباط المباحث البلغارية، رحيم مومنات، الذي هرب من بلغاريا ولجا الى تركيا انه في شهر اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤م طلب من عمدة مدينة سيمولين السيد كميل ان يغير اسمه، ولكنه رفض ذلك. وفي اليوم التالي عثر على جثته بعد ان قامت احدى سيارات اللوري بالمرور عليها في وسط المدينة. وفي نفس المدينة قام اربعة من المسلمين من قبيلة البوماكس البلغار بالانتحار بعد اجبارهم على تغيير اسمائهم ومنعهم من مزاولة دينهم.

وفي بداية هذا العام دمرت عشرة مساجد بواسطة الديناميت في مدينة سمولين، بحجة أن الحكومة تريد أن تبني فنادق ومواقف للسيارات. ولا يمكن حصر اسماء او اعداد الناس الذين اجبروا على قبول اسماء سلافاكية بدلا من اسمائهم الاسلامية حيث يتم اصدار هويات لهم. كما جرى تدمير مقابر المسلمين وازالة شواهد القبور التي تحمل احرفا او كلمات عربية. ومن المعروف ان الاتراك المسلمين في بلغاريا لهم عهد طويل جدا في بلغاريا، حتى ان البلغار انفسهم هم من أصل تركي، واسمهم « جافوش الذي يعني باللغة التركية « الخليط ». ومعظم المسلمين في بلغاريا هم من أصل تركي، بالاضافة الى ان المسلمين الذين هم من أصل بلغاري، والمسلمين الغجر. احصائيات رسمية).

وقد دخل الاسلام الى منطقة البلقان بواسطة الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الاول، حيث تم احتلال مدينة ادرين وفتحها في تموز (يوليو) ١٧٦٢م وبعد ذلك بثلاثين عاما كانت جميع بلغاريا تحت السيطرة الاسلامية، وجاء آلاف المسلمين من منطقة اناضوليا ليستقروا في هذه المنطقة، كما ان اعدادا كبيرة من السكان المحليين قد تحولوا الى الاسلام. واستمر الحكم العثماني حتى عام ١٨٧٧ عندما انتهت الحرب التركية الروسية. وحسب معاهدة برلين في ١٣ يوليو عام ١٨٧٨ تم اعطاء بلغاريا حكما ذاتيا، وبعد ذلك بسبع سنوات تم ضم شرق الروملي التركية الى بلغاريا. وفي نهاية حرب البلقان في عام ١٩١٣ اضافت بلغاريا تسع مدن تركية في غربه راكيا ورادو، وفي عام ١٩٤٠ استولت بلغاريا على منطقة جنوب دبروجا من رومانيا، حيث يعيش اعداد من المسلمين. ورغم ان معاهدة برلين على الاقلية التركية التي تعيش في هذه المنطقة ودعت الى حفظ حقوقها، إلا انه تم طرد ما يزيد على مليون تركي من المنطقة وقتل ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين الفا في المذابح التي قام بها البلغاريين ضد المسلمين هناك ولم يستطع اللاجئون بعد الحرب العودة الى اراضيهم، حيث انتشروا في بقاع الامبراطورية العثمانية آنذاك.

قامت الحكومة البلغارية تدريجيا بالاستيلاء على اراضي المسلمين، بل وحتى حيواناتهم، حيث كان اكثر من ٧٠٪ من الاراضي في بلغاريا يمتلكها المزارعون المسلمون ثم بدأت تنقلب الكفة عن طريق استيلاء السلطات على الاراضي بحجة الاصلاح الزراعي، وتسليم هذه الأراضي الى البلغاريين. وفي عام ١٩٤٤ كان ما يزيد عن ٨٠٪ من المسلمين في بلغاريا قد اصبحوا من المزارعين الصغار، ممن يسكنون في المدن والضواحي. ونظرا للضغوط

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عليهم لم يكن عددهم في الصناعة او التجارة اكثر من ١٪ .

أما الضغوط الاقتصادية التي كانت تواجه بعض المسلمين الاتراك فقد اصبحت عامة ومنظمة منذ الانقلاب الشيوعي في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤، حينما دخلت بلغاريا ضمن الستار الحديدي، وانتشر اضطهاد المسلمين في كل أوجه الحياة: اقتصادية ودينية وتعليمية. وتعتبر بلغاريا اقسى الحكومات واكثرها اضطهادا بين الدول الشيوعية بعد ألبانيا .

وفي الفترة قبل ١٩٤٤ كان المجتمع الاسلامي مجتمعا محافظا مغلقا على نفسه، وكانت علاقته بالبلغاريين الآخرين على أدنى مستوى، رغم أنهم موزعون في عدة مناطق وقرى ومحافظات الا أنهم حافظوا على اماكن التعليم واماكن العبادة، وحتى على النوادي الرياضية الخاصة بهم. ولكن النظام الجديد استخدم القوة ليغير من واقع المجتمعات الاسلامية المغلقة، وتم تسأميم الأرض بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٥، وأثر ذلك على المسلمين بشدة

أكثر من غيرهم، لانهم كانوا في الاغلب من صغار المزارعين. وبذلك اضطرت الغالبية العظمى من المسلمين الى هجر الارض، والعمل في وظائف متدنية في تعاونيات الحكومة، وجمع القمامة، ورعي الأغنام .

وكان تذويب المسلمين يتم عن طريق تغيير التركيبة السكانية في البلاد، باجبارهم على الانتقال من مكان إلى آخر. ففي تموز (يوليو) ١٩٤٨ تم نقل خمسين لوري محملة بالمسلمين من منطقة رودوب بالقوة الى منطقة دبروكا - وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٩ تم نقل ٣٨ لوري محملة بالعائلات المسلمة من مستنالي كوزوكافاك وداري دير، ثم ارسلوا الى الشمال - وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ تم نقل ٦٣ لوري محملة بالعائلات المسلمة من منطقة كازوكافاك، واجبروا على الرحيل الى منطقة رويان رازقار، ومنطقة سمتي.

وكان هذا النقل يتم باسم مشاريع التنمية والتقدم، وتم فصل الشباب عن عائلاتهم وعن محيطهم، وتوزيعهم بين المجموعات البلغارية. وكانوا يؤخذون من مناطق رودوب وداليورمان حيث يعيش غالبية المسلمين ويرسلون الى مدن صوفيا وبورقاز وديموتوقراد حيث لا يعيش أي مسلم. ولا يزال حتى الآن عدد كبير من العائلات لا يعلمون لمكان اطفالهم..

ورغم الوعود الكثيرة التي تمت بالنسبة لتعليم الأطفال المسلمين قبل الاحتلال الشيوعي، وفي ظل هذه الوعود، اجتمع في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٤ مؤتمر لممثلين عن المسلمين في بلغاريا. حضره مائتا شخص، وقدم هذا المؤتمر طلباته بالنسبة للتعليم الاسلامي في مذكرة الى الحكومة البلغارية. وكانت الاجابة على هذه المذكرة من قبل رئيس الوزراء جودجي ديمتروف، وهو رئيس الحزب الشيوعي البلغاري، في خطبته بتاريخ ١٩ شباط (فبراير) ١٩٤٦ حينما قال اننا يجب ان نؤكد أن قوم السلاف يجب ان يكون لهم دور القيادة في بلغاريا ونؤكد هنا ان البلغار انما نعني اهل بلغاريا ويجب ان نزيل كل الآثار التي تركتها الامبراطورية العثمانية في بلغاريا .

وبدا برنامجا شبيها ببرنامج النازية، حيث قرر المؤتمر الوطني البلغاري بعد خطاب رئيس الوزراء باشهر قليلة قانون التعليم البلغاري وبواسطته تم تأميم جميع المدارس الاسلامية والتركية. وبهذا اصبحت جميع المدارس ملكا للحكومة، بما فيها من أرض ومباني وأدوات تعليمية. وفي عام ١٩٤٧ تم منع تعليم اللغة التركية، وبعد هذه الخطوة ازدادت نسبة الأمية بين المسلمين الاتراك بشكل كبير. وحسب الاحصائيات الحديثة البلغارية فان نسبة المتعلمين بين اليهود ٧١٪ والارمن ٥٩٪ والبلغاريين ٥٤٪ والقاقور ٤٠٪ والتتار ٢٧٪ والاتراك ١١٪ والمسلمين المتنقلين أو الغجر ٨٪ والمسلمين البوماك البلغاريين ٦ .

وقبل استيلاء البلغار الشيوعيين على السلطة كانت كل مدينة في بلغاريا تحتوي على عدة مساجد ولكنهم منعوا الجمعية الوحيدة التي كانت تحاول المحافظة على هوية وحقوق المسلمين الاتراك، وهي جمعية تورات جمعيتي. كما قامت الحكومة بمنع الختان ومنعت الاحتفال بالزواج بالطريقة الاسلامية واجبرت النساء على خلع الحجاب، كما اجبر الرجال على الخدمة العسكرية الاجبارية. وكمحاولة من الحكومة البلغارية لتحطيم آخر علاقات المسلمين بالاسلام فقد اجبرت المسلمين على تغيير اسمائهم الى اسماء بلغارية. وهذه الحملة لاذابة المجتمع الاسلامي قامت على أساس من قرارات مؤتمر الحزب الشيوعي البلغاري ومناهجه التي اقرها في عام ١٩٧١، والتي لازالت تستخدم حتى الآن. حيث ذكر بأن برامج التطور للامة الاشتراكية سوف تتوسع، وان المواطنين في بلدنا من مختلف الأصول سيكونون اقرب بعضهم الى بعض. وبعد ذلك ببضع سنوات بدأت تخرج الى الوجود عبارة الأمة الاشتراكية الموحدة في الصحف والمجلات الحكومية. وفي عام ١٩٧٧ ذكر احد المحررين في احدى الجرائد في مقال له : « ان بلدنا هو من اصل واحد، ويسير نحو اذابة جميع الفوارق » .

وفي عام ١٩٧٩ اكد تيودور جيفكوف ان المسألة القومية تم حلها نهائيا، وبشكل مطلق من السكان انفسهم. وليس لبلغاريا مشاكل داخلية فيما يتعلق بالمسألة القومية. وتمشيا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

مع هذه السياسة لم يشر الى بيا فيما يتعلق بمسألة القومية منذ احصاء عام ١٩٦٥. وبعد ١٩٧٥ لم تعد القومية تدرج في جوازات السفر وبطاقات الهوية والوثائق الرسمية .

ان السبب وراء اهمية الصراع حول فرض الاسماء البلغارية يعود الى ان اي مواطن لا يحمل اسما سلافيا يصبح « نكرة » بالمعنى القانوني الكامل للكلمة. فلا يحصل على اي وظيفة ولا تصدر له وثيقة او شهادة او ورقة رسمية. وحتى الشهادات العلمية تحجب عن الذين لم يغيروا اسمهم الاصلي او الاسلامي .

وبالتأمل في الأسباب التي تكمن وراء هذا الانفجار الحديث للبلغرة المتعصبة فان الانسان يمكن ان يهتدي الى اسباب تتعلق بالتركيبة السكانية .

فعلى الرغم من سياسة تشجيع زيادة عدد السكان، فان المخططين البلغار يخشون في ظل نسبة الزيادة في المواليد والبالغة ١٢,٩ للالف ان تصبح بلغاريا مهددة بزيادة السكان المسلمين، لان نسبة المواليد بين ذوي الأصول التركية تقريبا ٢٠ للالف .

وبهذا يتسبب نمو السكان من الأصول التركية في مشاكل للنظام في المستقبل .

ان سياسة فرض الأسماء البلغارية .. على المسلمين يمكن ان ينظر اليه كعامل يبطل مفعول هذه الزيادة في السكان، عن طريق الاذابة، ولتخفيض ارقام المسلمين التي تظهر في الاحصاءات لاقل قدر ممكن .

اما بالنسبة للمسلمين فستستمر المشكلة. الا ان سياسة المراقة المتصلة لانتهاكات حقوقهم بواسطة تركيا يمكن ان تحد من المشاكل .

وهناك جانب آخر يؤثر على مسلمي بلغاريا، الا وهو الاهمال التام للمسلمين من ابوماك والغجر، علما بان الاهتمام الدبلوماسي التركي مقتصر على ما يمكن تعريفه كتركي، لهذا فان وضع المسلمين البوماك والغجر اسوأ بكثير من وضع المسلمين الاتراك .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية